فصة الحب :

سكران !

للقصصي الكبير ف . دوستويفسكي

لا اظن قارئاً قرأ شيئاً عن الاجرام والمجرمين ، يجهل قصة (الجريمة والعقاب) التي قال عنها العالم الايطالى لومبروزو « انهـــا قصة خالدة » . ولومبروزو يعرفه طلبة الحقوق والجامعات اول استاذ ألف فى الاجرام كتباً علمية كانت اساساً لعلم الاجرام والجنايات . فشهادته شهادة قيمة . ولقد كانت تلك القصة من جملة القصص التي استند اليها في تأليف كتبه ، كما قال .

وهي قصة مؤلمة سوداء اذا صح هذا التعبير . خلاصتها ان طالباً اجترم جريمة القتل . ثم عذبه وجدانه وآلمه . حتى اضطر الى البوح بجرمه امام امرأة يحبها ، فحملته على ان يعترف للحكومة بجرمه ، ففعل . وليس المهم في هذه

تستاء من قربي وتعمى ان ترى هذي الورود تحفها الاشوال

* * *

بين جنبي فى سويداء قلبي خاطر نم عن شعور وحس
حرت: إن بحت حل قطع لساني واذا ما كتمت فارقت نفسي

* * *

لقنتني الايام بعد اختبار معنوي من مصحف الكون حرفا
كل من يكشفن عندك عيباً عن صديق فعنك يكشف الفا

* * *

النجف : ج : خ

القصة حادثتها . بل تحليل نفسية المجرم وايضاحها للقارئين أصدق أيضاح .

وكان المؤلف ذا مكانة خطيرة فى عالم الأدب القصصى ويكفيه انه حين موته عام ٨٨١ شيعه الى الرمس المظلم ار بعون الف مشيع . وكتب عنه تولستوي الفيلسوف :

« انني لم ار الرجل في حياته . ولم تكن بيننا أواصر علاقة خاصة . ومع ذلك فقد ادركت ساعة فوحشت بنعيه انه كان أقرب الناس الي واحبهم. وانى فى اشد احتياج اليه . وكنت اشعر ان كافة اعماله كانت من هذا النوع الذي يعود على الناس بالفائدة والنفع . وقد تهدم عمادي وفقدت ساعدي حين تلوت نبأ وفاته » .

وكان المؤلف ذائع الشهرة طائر الصيت ترجمت قصته الى اللغات الاوربية كافتها ، ولكنه — وياللسوء حظ العبقرية والنبوغ — عاش في فقر كالموت وقاسى آلام الجوع ! وفر من بلده مراراً عديدة تخلصاً من الدائنين . ويذكر بعض المؤلفين انه اضطر يوماً الى رهن معطفه وآخر قميص كان يملكه بغية الحصول على مبلغ يساوي خمس روبات .

وكان ممن ذاق طعم النفي فى سيبرية . وممن سيق الى القضاء القيصرى فحكم عليه بالاعدام لانه كان ثورياً ينشد لشعبه والاصلاح . وقد نفي ولم يعدم.

وكانت ولادته عام ١٨٢١ فى موسكو . وقد ارتقى فى سلم العلم حتى خرجته الجامعة مهندساً عسكرياً .

واليك نموذج من قصصه ذات التحليل الانساني الصادق :

المحل حانة فى احدى المدن الروسية .

الزمن صيف . الوقت حوالي الظهر .

الحانة حقيرة ، صغيرة قد عرضت المأكولات في نافذتها وهي قطع

من القثاء ، والقسماط الاسمر ، والسمك. تهب منها رائحة كريهة وكان الجو مفعماً بابخرة الخمور بحيث كانت الاقامة خمس دقائق فيها كافية لاسكار الانسان . وفي الحانة طالب جائع امرضته الهواجس والوساوس . واسكرته قبل ان يذوق الخمرة . وما كان الجالسون اكثر من ثلاثة او اربعة سكارى. بينهم رجل يظهر انه (موظف متقاعد) جالس وحده يرفع كأسه من حين لآخر الى فمه ، ثم ينظر حوله . اما ظواهره فتدل على شدة الاضطراب والقلق

وصاحب الحانة جالس في غرفة مجاورة للقاعة ، و يظهر فى القاعة بين حين وحين . وكان ولداه الاثنان يخدمان المترددين ويقبضان الاثمان .

وظل الطالب يطيل النظر الى الموظف المتقاعد . وكان هذا يلتفت اليه ويظهر التلهف للتحدث اليه . وكان يبدو عليه قلة المبالاة بل التكبر على كافة المترددين وعلى صاحب الحانة كذلك . فهم دونه فى التربية والمنزلة الاجتماعية . ولذلك لم يتنزل الى محادثتهم ، وهو يتجاوز الخمسين من العمر ، متوسط القامة ، قوي الجسم ، اصلع الرأس يدل اصفرار وجنتيه على ادمانه ، وتحت جفنيه الذابلين عينان براقتان حمراوان تفيضان قوة ونشاطاً . واعظم ما يدعو الى الاعجاب في محياه مظاهر الذكاء والحمية مع شحوب ... وكان مرتدياً معطفاً لم يبق فيه غير زر واحد ...

وكانت حركاته ثقيلة . وكان يلوح للناظر اليه انه متألم من انفعال نفساني فهو يمرر يديه على شعره ويخفي بهما وجهه احياناً وهو واضعهما فوق المائدة غير مبال بتلويث اكمامه البالية ، واخيرا التفت الى الطالب وهو يقول بصوته المرتفع :

— أتسمح لي يا سيدي بالتحدث اليك ؟ ان عيني تنبئاني بانك على

بساطة ثيابك رجل متعلم لست من المترددين على الحانة . واني لأعلق اهمية عظيمة على التعليم لا سيما اذا ارتبط بصفات جوهرية . اسمح لي ان اعرفك بنفسي . فان اسمي مار ملادوف واني عضو فى احد المجالس فهل انت موظف ؟

فاجاب الطالب مستغرباً رقة حديثه — كلا فانني مشتغل بدراسة العلم .

وقد تضايق من مفاجأة اجنبى له بمحاورته. قال الموظف :

— اذن انت طالب أو كنت طالباً ؟ لقد صدق ظني ياسيدي ولم تخني بجاربي الطويلة. ومسح جبينه باصابعه اشارة لتقدير كفاءته الشخصية ثم قال :

— نعم قد درست . لكن اسمح لي .

وهنا نهض وكأسه فى يده فجلس على مقربة من الطالب ... ثم قال وهو يتكلف الهيبة والوقار :

— حقاً يا سيدي ان الفقر ليس برذيلة كما ان السكر ليس بفضيلة . وهذا ما يرثى له لكن البؤس جريمة ياسيدي . فقد تكون فقيراً ومحتفظاً بعزة العقل . اما البائس فيطرد من المجتمع لا بالعصا ، بل بالمكنسة التي هى اشد اهانة للانسان . ومن هنا يتبين لك مصدر هذه الحانات . فمنذ شهر ياسيدي ضرب زوجتى رجل يدعى لبزيانيكوف . ألا تعرف ان ضرب زوجتى يجرح احساسي جرحاً بليغاً ؟ اسمح لى ياسيدى ان اسألك سؤالاً آخر من قبيل الرغبة فى المعرفة فقط : هل قضيت ليلة على نهر (نيفـــا) في مركب قش ؟

فاجاب الطالب :

— كلا . ولماذا ؟

— حسنا . ذلك هو المكان الذي نمت فيه مدة الخمس ليالى الماضية .

لها تلو

— * —